الإبلاء والتتميم قد يكون لما وراء الأجزاء من زيادات يتأكد بها ذلك الشيء
الكامل . قلت هذا الذي لزمه اللغة أيا لا ينهض له ثم لا يلزم أهل
البيان الاعتراض بترادفهما لغة لأنهم نقلوا اللفظين عن موضوعهما لغة
وصيروهما علمين على ذينك النوعين المعدودين في الإطناب كما تفصح عنه
الاصطلاحات فلا يعترض بأصل الوضع على الاصطلاح . ولا يلتفت لما خالف
القواعد الصحاح . ولما أخبرنا بأن القصيد تم في هذا الموضع وكمل وانقضى حمد
الله تعالى كما ابتدأ به على نعمة الكمال والتمام فقال في معرض الثناء على المنعم
بما له من جزيل الإنعام . والحمد لله أي الثناء الجميل كائن لله سبحانه وهو
علم على ذات الواجب الوجود . كما مر وقيد الحمد بقوله على نيل أي إدراك
الأمل أي المأمول وهو المقصود والمطلوب وكون الحمد المقيد أفضل من المطلق
أو العكس وتداول الخلاف في ذلك مما أكثروا تسويد الأوراق بإيراده فلا
نتعرض له إذ لا طائل تحت سواده وقد ارتكب الناظم كلا منهما جمعا للحالتين
وخروجا من خلاف الفرقتين . وكمل في النظم تبعه فيه الفتح لأفصحيته
وسلامته من السناد . وليتم الالتزام ويكمل المراد . ولعله حمد الله تعالى
على نيل أمله . وكمل عمله عقب ذلك بالتعريف بنفسه جريا على وتيرة الخلف
والسلف في ذلك لما فيه من الحض على قراءة الكتاب . والاعتناء به ولما
روي عن إمامنا مالك رضي الله عنه من أنه لا تجوز الفتوى بما جهل قائله ولو
كان صحيحا في نفسه فقال

نظمه مالك الفقير   لعفو من لأمره يصير

أقول النظم الجمع والتأليف ونظم اللؤلؤ ينظمه كضرب نظما ألفه وجمعه في سلك
واحد ونظم الشعر قاله مأخوذ من نظم الجوهر تشبيها لفوائد الكلام . بفرائد النظام
والناظم الجامع قيل وهو أعم من الشاعر لأنه مطلق الجامع بخلاف الشاعر فإنه المقتدر على
التعبير المجيد حل الكلام أيما تجييد . المالك لطائف المعاني . السالك المنهج الواضحة
في التراكيب والمعاني . ولذا قيل

إذا كنت لا تدري سوى الوزن وحده   فقل أنا ناظم ولست بشاعر

وضمير

ترجمة الناظم

وضمير نظمه عائد للفصيح ومالك هو الفاعل نظم وهو مالك بن عبد الرحمن بن فرج
ابن أزرق بن منين بن سالم بن فرج النازل بوادي الحجارة بمدينة الفرج وهو مصمودي
مولى بني مخزوم ابن المرحل السبتي الدار المالقي النجار مولده بمالقة عام أربعة وستمائة
سكن سبتة طويلا ثم مدينة فاس ثم عاد إلى سبتة مرة أخرى ثم رجع إلى مدينة فاس
وبها توفي يكنى أبا الحكم وأبا المجد والأولى أشهر ويعرف بابن المرحل بفتح الراء
والحاء المشددة المهملتين شاعر رقيق مطبوع سريع البديهة رشيق الألفاظ
ذاكر للأدب واللغة وكان ربما تحرف بصناعة التوثيق ببلده وولي القضاء
مرات بجهات غرناطة وغيرها وكان حسن الكتابة والشعر أغلب عليه . أنهضه أدبه وشعره
وعوضه من الخمول الظهور . وكان شاعر المغرب واستعان على ذلك بالمقاصد اللسانية
لغة وبيانا وعربية وعروضا وحفظا واضطلاعا وكان نافذ الذهن شديد الإدراك
قوي العارضة والتبريز في ميدان اللوذعية وحرارة النادرة وحلاوة الدعابة .
ويشارك في الفقه ويقوم على الفرائض وتولى القضاء عن الأمراء ومدح واسترفد
وقصد في رواية العلم والشعر والملح والفوائد لسعة الذرع وانفساح المعرفة وعلو
السن وطيب المجالسة تلا بالسبع عن أبي جعفر أحمد بن علي بن الفحام وجالس بمالقة
أبا بكر بن عبد الرحمن بن علي بن أبي حمار وأبا عبد الله الطنجي وابن عسكر وأبا عمرو بن
سالم وأبا النعيم رضوان بن خالد وبإشبيلية لقي أبا القاسم بن بقي وأبا الحسن بن
الدباج وأبا علي الشلوبين وأجازه . وروى عنه أبو جعفر بن الزبير والقاضي
أبو عبد الله بن عبد الملك وجماعة وأخذ بفاس عن الفقيه اليزناسني وله تآليف
منها هذا النظم البديع الفائق . المشتمل على كل لفظ عجيب ومعنى رائق . جمع فيه بين الفصيح
وشرحه . وأجاد في إرسال القول فيه وسرحه . فهو جدير بما وصفه به من التهذيب وغيره
من أنواع مدحه . ولا يعاب بما فيه من أنواع التكميل . إذ لا يكاد يسلم منه كامل ولا سيما
في مقام التطويل . ومنها شعره الذي أبدع فيه كل الإبداع . ونوع تدوينه إلى أنواع .
ومنها الوتريات النبوية على حروف المعجم . والتزم افتتاح بيوتها بحرف الروي وسماها الوسيلة
الكبرى . المرجو نفعها في الدنيا والأخرى . وعشرياته الزهدية وأرجوزته المسماة بسلك
المنخل . لمالك بن المرحل . والقصيدة الطويلة المسماة بالتبيين والتبصير في نظم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)